خالد ابو خالد

مواصلة الخروج على قرار التصفية

عصية المغلاق بندقية المحاصر
الذي يسكنني
عصية دمعة من احب
عصية بسمتها
كلمتها
يجيئها الدم الذي يفيض من
جبينها .. ومن يدي
فترتديه ..
آه
ثم تختفي حبيبتي
وعن حجارة الطريق تمحي
قوافل المسافرين من احبتي
اسماؤهم
اشياؤهم
وذكرياتهم تغيب
انت وحدك الذي صادقتني
ولم أبح بسرنا
اقول
ان تطول جلستي اليك
راحل في اللحظة التي يموت
فيها اصبع على الزناد
يا صديقي الشجاع
لن يصلي احدعليك في مساجد
القرى
ولن يقول قائل عن الذي جرى
والمرأة التي تبكي
ستبكي ليلة
وترتدي السواد سنة او
سنتين
سوف تفقد الوجه الذي تعبت
في ترميمه قبيل ان تخسر
هبت نسمة على جبينك
المرهق
كانت يدها في ذلك المساء
ترتوي من عرقي
... وآه انني انهد تحت قوة
الحنين .. والضحى
لو مرة القاك .. يا حبيبتي
اراك لو ...
واختفي
لو انني اخترق الحصار مرة
لكان لي ... وطن ..
مريرة رائحة الحليب .. جثة
.. ودم
لا تبتعد
ينفض عنكما الزحام
تخلو الساحة الان من الرماة
وحدك انزرعت قربها
تسرب الغروب كالندى اليك
فالتفت
واستدرت كالمحارب المهزوم
فوق الحربة اللامعة النصل
سطعت
ايها الطفل الذي يجوع بين
الجوع .. والقتيل
رمل سادر
مدينة مفلولة .. حبلى
صدى
عمان في حيفا .. قصية
ونخلة مجزوزة الضفائر
انتبه ..
ـ هل يخسر الفتى الذي
ساكنته جلدي طول العمر كل
شيء ؟
بارد آخر ليل في شتاء العام
نجمة وحيدة تعزفه على خيوط
الماء
ارتعشت ذبالة الفانوس
ـ ما الذي يبحث عنه جامع
القمامة الليلة قبل ان يفجأه
الصباح
تصعد فيك يا حبيبها الارض
المرافيء المهجورة
الاشرعة
الحجارة
الشمس
الشظايا
القرية
الحرائق
الحب الذي يغتاله الصمت
الرصاص
الحبر
والمشانق
الدعوة للحوار بين القتل ...
والاطفال
وظلت الشمس على شفير
الشجر العريان
اذ تسول المشردون حاجة
وتابع الجباة شتم سائر
المواطنين
لن يفتقد الباص الذي يمر عبر
حينا وجهك
اذ تتابع الاذاعة البرنامج
اليومي
دون ان تقول خبرا عن « سيلة
الظهر » (١) التي لن تخلع السواد
او تكف عن بكائها القديم
منذ زمن القطيعة الخاسر انت
.. او انا
والحب
وحدها تبقى على مشرحة
الرياح
تحت ثديها يلعب بالمباضع
المقامرون
ـ هل سمعت الصرخة التي
تعبر لحمها اليك
ـ يحبسون صوتها في الورق
اللعين
ايها العشاق انهم يحاصروننا
وشاهرا سلاسلي ... اجيء
...
استند الآن الى المائدة المثقوبة
السطح
وبل شفتيه بالنبيذ
انتشرت رائحة الحناء
والدم الجريء
والحصاد
نقر العزف زجاج كاسه الفارغ
أن
ابتسم المسدس ـ الذي رافقه
ابان موسم الاغوار ـ
دس في الطاحون طلقة
توقف الحوار
لم يعد يحتمل انتظاره الطويل
واصل الاحساس بالخسارة
الصوت لاحقه
توقفت نبرته على الفراغ
او على الزناد
بين ظله واليأس .. يضحك
المقامرون ..
ـ امراة مجهولة ترمي وليدها
الجديد فجأة
تحترق اللفافة الاخيرة الآن
على منفضة القمار
ـ هل شربت نخبنا
ـ شربت نخبها على دمي
اكتب آخر القصائد التي
يقمعها الرقيب في غياب وطني
يقامرون بالذين بثروا اشلاءهم
خسرت انت يا ابي
ويا رفيقي الذي ما عاد من
رحيله الاصيل

(١) قرية الشاعر

طـال موسم الذين يعبثون
بالذي خسرت قبل أن يكون
تقلصت قبضته
انحنى يقرأ فوق الورق المبعثر
افتضاح خدعة المقامرين
انه يغضب قبـل ان ينهض
حاملا اساء
بين اصبعيه الحبل
شده
فانفرج الستـار عن شبـاكه
المسكون بالمؤآمرات
لو يدير وجهه الي ما تركته
يطل
انهم يجهزون للحريق الكتب
الخرائط
الاطفال
يحطمون سنديانة
ويكتبون
ـ لا يمر من هنا المشرد الفقير
والمقاتل
يبسمون في الشوارع الحمراء
أذ تخاط في عيونهم علامـة
والعـراب الاسير الشرطـي ..
والسفير
بالذي اغتالوه .. قبل ان يمر
ـ ما الذي يراد بالاسلحة التي
تطل في القاعات
يا فصيلة السلام (٢)
أن خيلكم سمينة تنكر جـوع
اهلنا
ذاكرة الدماء ... لا تخون
اختباء اللصوص تحت لونه في
وهج العبارة
انطلت عليه الخدعة العادية
ـ انطويت
جرس الانذار في يدي(الجرمق)
(الرمال)
باب عكا شرع على الجراح
اولم المقامرون
ابرقوا بانني خسرت
انفتحت مكاتب المطـار
ميزوا التذاكر التي اشتروابالعطر
والحقائب السوداء بالوثائـق
المهورة البيضاء
هل تختلط الرؤية ام ينسحب
الليل على النهار
تنغلق الابواب بيـن الشك ..
واليقيـن

الرهبة المقيمة التي اعرفها
تنسلّ
يرتمي الان الرصيف مجهدا
والعرق المهدور نقطة فنقطة
يجف قبل ان تشربه حبيبتي
صبية في جسد الصخور .
فوق ساعديه الحلم الذي يسيل
منه الدم
فاجع وعي اولئك الذين يدركون
باكرا
ويصمتون كالشهود في جريمـة
يحوم حولها الجناة في أردية القضاة
يدور بين الطلقة المشفوفة ـ اللحظة
والزنـاد
لو اكف عن تساؤلي
استسلم الان على يديه
شدني اليـه
راوح القرار بيننا
تتعب اذ تجيء او تروح بين الدم
والاضبـارة
الاسئلة التي تلاحقت
تأكل كالمنشار في الذهاب والاياب
عظمه
واستأنف التنقل الرتيب بيـن
صدره .. وصدره
وود لـو يصرخ
كنت واثقا
يخجل ان تند عنه نأمة
كابرت
هل يظن انني خذلته
اومأ .. فاعتذرت
لم يعلـق
واكتفى بان تجرع الليلة كأسـه
الاخيرة
مرة خمرة اخر الايام
انه يتابع التحديق في الفراغ
واللوحات والكرسي
تحت مرفقيه الضحكـة
الحـوار
صمت خائف منه وخائف عليه
شد حول خصره حزامه
وكان واثقـا
بانها تكون بانتظاره وحيدة فـي
قلعـة الحديد
ابحر العجوز خارج الدائرة التـي
وقعها المقامرون بالطبشور
ما الذي تقوله الجريدة الرسمية
الليلة في المربعات ؟
رد عن واجهة الاحزان راحتيك
تفضحان بين الموت .. والولادة ..
الغربة

والسقوط في عذابك السري
انت وحدك الليلة مرهق كحزنها
طاغية مقابر الاطفال لحظة الدفن
تجمعوا .. وتمتمـوا شيئا ..
وغادروك

وحدك ارتميت هادئا
كبرت مرة واحدة كالليـل دون
ارض

ضمّها اليـك
ضمها قبيل ان تغيب
ضمها في الزمـن الجـوري ..
والاخير
ينعقد الدخان هالة ثقيلة كالرعب
يصعد فيك الشجر المبرعم الصغير
والقديم

البحر .. والصهيل
النورس
الشواطيء
الرغبة
والاجراس
والتوقيع
الخطى
التاريخ
والاصوات

والمحاربون يصعدون فيك بيـن
الجلد .. والعظام
فيك انت الحلم الاحمر .. والتراب
والزيتون

وتحت رئتيك الانهر الحزينة
الشرق
الشمال
الفقراء الوطن الكبير
اشهد انه موعد الالام فيك
انه منفـاك
انك العاشق بين السجن
والرصاص
والصحراء
انها بعيـدة
قريبة

تنهض خلف جبـل الزجاج ..
والاسى .. والماء
ان صوتك العائد صبّ في وريدها
اشهد انها تصيح دون لغة
خالدة صرختها
خالدة توقيعة الدماء في الاشعار
والصخور
والطيور
والمطر .

دمشق

---

(٢) « فصائل السلام الفلسطينية قوة مسلحة مضادة للثورة مارست نشاطها بعد ثورة ١٩٣٦ حتى عام ١٩٣٩ ـ ١٩٤٠.